الفصل الحادي والخمسون بعد المئة

العصبية والشعر

رأيت أن أهل الكوفة كانوا يفضلون بعض الشعراء الجاهليين على غيرهم ، وأن أهل البصرة كانوا يرجحون غيرهم عليهم ، فلا يرون التقدمة لمن اختارهم أهل الكوفة ، ورأيت أن أهل الحجاز يقدمون شعراء آخرين على الشعراء الذين قدمهم أهل الكوفة أو أهل البصرة .

وموضوع من هو أشعر شعراء أهل الجاهلية ، موضوع تضاربت فيه الآراء كثيراً ، وكثرت فيه الأقوال ، لما له من تماس بروح العصبية ، والعصبية اذا دخلت قضية أفسدتها . ثم انه قائم على أحكام الأذواق ، وأذواق الناس في الشعر وفي الذوق والتذوق متفاوتة متباينة ، ثم هو لا يستند الى أسس مقررة تعود الى أيام الجاهلية ، كنقد علمي ودراسة عامة شاملة قام بها الجاهليون في أيامهم ، وانما مرجعه أقوال قيل انها صدرت من خبراء الشعر وعلماؤه ، لا أدري مقدار ما فيها من صدق أو كذب . وكل ما أستطيع ان أقوله : انها آراء دونت في الاسلام ، وهي مرسلة ، محمولة على المبالغة في الاستحسان لقصيدة أو لقطعة أو لبيت ، بل ولنصف بيت أحياناً ، وهي تمثل استذواقاً شخصياً ، لحالة من الحالات ، لا لغالب شعر الشاعر وعامة ما روى عنه ، ولما فيه من فن وإبداع ، ثم انك تجدها أحياناً متناقضة متضاربة ، تجد رواية تقول إن الشاعر الفلاني ، أو عالم الشعر فلان قال : أشعر الناس فلاناً ، ثم تجد رواية ثانية تذكر انه قدم شاعراً آخر محله فجعله أشعر الشعراء ، ثم لا تلبث أن تجد رواية ثالثة ، تذكر

أنه اختار شاعراً غيرهما ، فجعله أشعر شعراء الجاهلية ، وأشعر الناس ، فتحتار في أمر هذا التناقض ، كيف وقع ، وكيف حدث والحاكم رجل واحد ؟ هل وقع هذا حقاً ، أو أنه كان من وضع المتعصبين للشعراء ، أرادوا تقديم شاعر لهم على سائر الشعراء ، فاحتاجوا الى حجة وسند واثبات ، لإثبات دعواهم ، وتأكيدها ، فاختلقوا قولاً نسبوه الى عالم معروف وصنع قوم غيرهم مثل ما صنعوا ، فاختلقوا قولاً نسبوه الى هذا العالم أيضاً ، فمن ثم تعددت الأقوال وتصادمت ، فليس للعلماء اذن يد في هذا التناقض أو أي ذنب ، وإنما الذنب هو ذنب المختلقين الذين دسوا دسهم على العلماء .

وقد لا يكون للإختلاق يد في ظهور هذا التناقض ، وإنما سببه ، أن شخصاً يُسأل عن شاعر ، فيخطر بباله خاطر عن شعره ، جعله يستعذبه أو يستعذب جزءاً منه ، يراه أنه أحسن ما قيل من نحوه ، فيرجحه على الجميع ، ويحكم من هذه الناحية على أنه أشعر الناس ، ثم يمضي وقت ، ينسى فيه ما قال ، فيسأله أشخاص : من أشعر الناس : فيتخطر خاطراً ، أو يحمله المجلس الذي كان يدور فيه الحديث إذ ذاك على خاطر ، يحمله على الحكم بتفوق شاعر آخر ، وهكذا ومن هنا كان سبب هذا التناقض والاختلاف في الرأي .

وقد كان من السهل وقوع مثل هذا التناقض ، لأن العلم كان بالمشافهة ، ولم يكن عن تدوين وقراءة كتب ، وكان بالذاكرة والتذكر ، وكان حكمهم بنصف البيت وبالبيت وبالقطعة وبالقصيدة ، أو بجملة قصائد ، لا بمراجعة شعر كل شاعر ، وبمقابلته بشعر الشعراء الآخرين ، واستنباط ما في مجموع شعر كل شاعر من مزايا ، للمقابلة بينها . ثم للحكم للمتفوق الأجود . فذلك أمر لم يكن من الممكن حدوثه : لعدم وجود التدوين عندهم ، ثم إنه لم يكن معروفاً عندهم . فلما وقع التدوين ، وأخذ علماء الشعر في التنقير في كل جهة بحثاً عن الشعر وما قيل فيه ، ظهر ذلك التناقض وبان ، ودوّن كل ما أمكن تدوينه ، بعد أن ضاع من الشعر ومن الآراء التي قيلت عنه ما ضاع ، وكانت الخلاصة هذا الواصل الينا .

وقد أشار أهل الأخبار الى ما كان للعصبية من أثرها في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض : عصبية قبلية ، وعصبية محلية ، وعصبية منافسة وتراكض على الزعامة . فالقبائل تقدم شعراءها على شعراء غيرها وتجعل في أيديهم ألوية الشعر ، وقيادة الشعراء في معارك القصيد ، وأهل العصبية الى عدنان ، يقدمون شعر (ربيعة) وأولهم

(المهلهل) على غيره، ويرون أنه مفتق الشعر ومهلهله ، وأول من قصد القصائد[1]، وأهل اليمن يرون تقدمة الشعر لليمن ، يزعمون أنه بدأ في الجاهلية بامرىء القيس، وفي الإسلام بحسان بن ثابت ، وفي المولـدين بالحسن بن هانىء ، وأصحابه : مسلم بن الوليد ، وأبـي الشيص ، ودعبل ، وكلهم من اليمن ، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين : حبيب ، والبحتري ، ويختمون الشعر بأبي الطيب ، وهو خاتمة الشعراء لا محالة ، ويرجعون نسبه الى اليمن[2] .

قال (ابن رشيق) في (العمدة) : « والشعراء أكثر من أن يحـاط بهم عدداً ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ، وسار شعرهم ، وكـثر ذكرهم ، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقلّ ما يجتمع على واحد ، إلا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في امرىء القيس أنه أشعر الشعراء ... »[3] .

وكان علماء البصرة يقـدمون امرأ القيس ، أما أهل الكوفة فكانوا يقدمون الأعشى ، وأما أهل الحجاز والبادية ، فقدموا زهيراً والنابغة . وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً . وهـذا ما أتت به الرواية عن (يونس بن حبيب) النحوي[4] .

ولكنك إذا تتبعت وأحصيت ما قيـل على ألسنة أهل البصرة أو الكوفـة أو الحجاز من أقوال ، ترى تناقضاً بين هذه الرواية وبين ما حصلت عليه من دراسة تلك الأقوال . تناقضاً ينبئك أن هذا المروي ، هو وجهات نظر وآراء أشخاص ، ولا يمثل إجماع أهل الكوفة ، أو اجماع أهـل البصرة ولا اجماع أهل الحجاز ، أو اجماع أهل البادية ، ثم هو كله آراء وردت في الإسلام ، وان حاولت إرجاع أصلها الى الجاهلية .

ويذكر من يقدم (امرأ القيس) على غيره ، أن الرسول ذكره يوماً ، فقال: « ذلك رجل مذكور في الدنيا ، منسيّ في الآخرة ، يجيء يوم القيامة وبيـده

---

١ العمدة (٨٦/١ وما بعدها) ، (باب تنقل الشعر في القبائل) .
٢ راجع رأي علماء الشعر في أصل نسب المتنبي ، العمدة (٨٩/١ وما بعدها) .
٣ العمدة (٩٤/١) ، المزهر (٤٧٨/٢) .
٤ ابن سلام ، طبقات (١٦) ، العمدة (٩٨/١) ، المزهر (٤٨٢/٢) .

لواء الشعراء يقودهم الى النار »[1] . أو أنه قال : « إنه أشعر الشعراء، وقائدهم الى النار . يعني شعراء الجاهلية والمشركين »[2] .

وروي أن (عمر بن الخطاب) كان يفضل (امرأ القيس) على غيره ، ذكر أنه قال للعباس بن عبد المطلب ، « وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم : خَسَفَ لهم عين الشعر ، فافتقر عن معانٍ عور أصح بصر »[3] . « يريد أنه أول من فتق صناعة الشعر وفنن معانيها واحتذى الشعر على مثاله »[4]. وذكر أن (علي بن أبي طالب) كان يرى له التقدم على غيره ، وذلك بقوله: « رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة »[5] . فأنت ترى أن الرسول وعمر وعليّ ، قدّموا (امرأ القيس) على غيره ، وهم من أهل الحجاز . ولكننا نجد في الوقت نفسه رواية تذكر أن (ابن عباس) « قال : قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال : زهير ، قلت : ولِمَ كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاضل بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه »[6]. فهو يفضل في هذه الرواية زهيراً على غيره ، بما فيهم امرىء القيس ، إذ لم يشر اليه باستثناء .

ثم نجد رواية أخرى تذكر أن (عمر بن الخطاب قال : أي شعرائكم يقول:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

قالوا : النابغة . قال هو : أشعرهم »[7] . « وكان أبو بكر رضي الله عنه، يقدم النابغة ، ويقول : هو أحسنهم شعراً ، وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعراً »[8]. فأبو بكر وعمر في هذا الموقف سواء ، فضلا النابغة على سائر الشعراء .

---

١ بلوغ الارب (٣/٩٣) ، المزهر (٢/٤٧٨) .
٢ العمدة (١/٩٤) .
٣ العمدة (١/٩٤) ، الفائق (١/٣٤٣) .
٤ تاج العروس (٣/٤٧٥) ، (فقر) .
٥ العمدة (١/٤١ وما بعدها ، ٩٤) ، تاج العروس (٧/٤١٢) ، (ضلل) .
٦ طبقات ابن سلام (١٨) ، العمدة (١/٩٨) ، الفائق (٢/١٦٥) ، الشعر والشعراء (١/٧٦) .
٧ ابن سلام ، طبقات (١٧) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٧٩ وما بعدها) .
٨ العمدة (١/٩٥) .

ولو استعرضنا رأي الشعراء في أشعر الشعراء ، وجدناه غير متفق ، فقد يفضل شاعر شاعراً ، وقد يخالفه فيه شاعر آخر ، وقد ينسب لشاعر رأي ، ثم ينسب له رأي مخالف . سئل (لبيد) : « من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشاب القتيل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل — يعني نفسه »[1] . و « روى الجمحي أن سائلاً سأل الفرزدق : من أشعر الناس؟ قال : ذو القروح ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وقاهم جـدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقابُ

وأما دعبل فقدمه بقوله في وصف عقاب :

ويلُمّها من هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب »[2] .

وقد سئل الفرزدق مرة : « من أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبي حازم؛ قيل له : بماذا ؟ قال : بقوله :

ثوى في ملحـدٍ لا بُدّ منه كفى بالموت نأيـاً واغترابا

ثم سئل جرير ، فقال : بشر بن أبي خازم ، قال : بماذا ؟ قال: بقوله:

رهين بلى ، وكل فتى سيبلى فَشُقّي الجيب وانتحبي انتحابا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى »[3] . وقد رأيت أن الفرزدق كان قد سئل السؤال نفسه : من أشعر الناس ؟ فأجاب : ذو القروح ، أي امرىء القيس . بسبب بيت فوّقه به على غيره من الشعراء . بينما هو يقدم (بشر بن أبي خازم في هذه الرواية . وينسب أهل الأخبار لجرير رواية أخرى تزعم أنه سئل من أشعر الناس ، فقال : النابغة[4] . فخالفت هذه الرواية ما جاء في الرواية الأخرى .

---

١ العمدة (١/٩٥) ، المزهر (٢/٤٧٩) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) .
٢ العمدة (١/٩٥) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٣ العمدة (١/٩٦) .
٤ العمدة (١/٩٧) .

« وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبـــة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس،وأضربهم مثلاً طرفة . وأمـــا شعراء الوقت ، فالفرزدق أفخرهم ، وجرير أهجـــاهم ، والأخطل أوصفهم »[1] . « وفضل النقاد العرب طرفة عـلى سائر الشعراء بإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق اليه ، ويميل بعضهم الى عده أشعر شعراء الجاهلية »[2] .

« وقيل لكثير أو لنصيب : من أشعر العرب ؟ فقـــال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب »[3] . فهو رأي قدم الشعراء المذكورين على غيرهم في حالات معينة ، ولم يقدم (امرأ القيس) على غيره بصورة مطلقة . و « زعم ابن أبـي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول: أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس ، والنابغة ، وطرفة ، ومهلهل »[4] .

« وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي : واسلامي ، ومولد؛ فالجاهلي امرؤ القيس ، والاسلامي ذو الرمة ، والمولد ابن المعتز . وهذا قول من يفضل البديع وبخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر »[5] .

وحجة من قدم أمرأ القيس على غيره « ان امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق الى أشياء فاستحسنها الشعراء ، واتبعوه فيهـــا ، لأنه أول من لطّف المعاني ، ومن استوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعِقبان والعصي ، وفرق بين النسيب ومـــا سواه من القصيد ، وقرّب مأخذ الكلام ، فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه »[6] ، « وكان أحسن طبقته تشبيهاً »[7] .

---

١ العمدة (١/٩٦) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٢ بروكلمن (١/٩٢) .
٣ العمدة (١/٩٥) .
٤ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٥ العمدة (١/١٠٠) .
٦ الشعر والشعراء (١/٤٧٨ وما بعدها) ، العمدة (١/٩٤) ، ابن سلام ، طبقات (١٦ وما بعدها) ، الرواية ترجع الى « يونس » وقد دونها « ابن سلام » و « ابن قتيبة » المتوفى بعده (٢٧٦ هـ) ، مع شيء يسير من الاختلاف في النص .
٧ ابن سلام ، طبقات (١٦ وما بعدها) .

ووجد (زهير) له أنصاراً وأعواناً ، من المعجبين بـه في الاسلام بالطبع ، قدّموه على غيره من شعراء الجاهلية . وقد سبق أن أشرت الى رواية زعمت أن (عمر) فضله عـلى غيره من شعراء أهل الجاهلية[1] . وذكر أن (عكرمة بن جرير) سأل أباه جريراً : من أشعر النـاس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قـال : ما أردت إلا الإسلام ؟ فـإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير شاعرهم »[2] . وزعم أن (ابن عباس) سأل (الحطيئة) عن أشعر الناس ، فقال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يفره ومن لا يتـق الشتم يشتم

وليس الذي يقول :

ولستَ بمستبق أخـاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب ؟

بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته ، كما أفسدت جريراً ، والله لـولا الجشع لكنت أشعر الماضين ، وأما الباقون فلا شك اني أشعرهم . قال ابن عبّـاس : كذلك أنت يا أبا مليكـة »[3] . وقائل البيت الأول زهير ، وقائل البيت الثاني هو النابغة .

ولكنّا نقرأ في رواية أخرى ما يخالف هذا الرأي ، نقرأ فيها أن سائلاً سأل الحطيئة عن أشعر الناس ، فقال أبو دؤاد حيث يقول :

لا أعُدّ الإقتار عُدماً ، ولكن فَقَدُ من قـد رزئته الإعدام

وهو رأي لم يقبل به أحد من النقاد[4] . وجعل بعده (عبيداً)[5] .

ورجح بعضهم (الأعشى) على غيره ، رجحه الشاعر (الأخطل) مثلاً ، فزعم أنه قال : « الأعشى أشعر الناس »[6] . وكان خلف الأحمر يقول : الأعشى

---

١ العمدة (١/٩٨) .
٢ العمدة (١/٩٦) .
٣ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٤ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٥ الشعر والشعراء (١/٢٤٢) ، (دار الثقافة ، بيروت) .
٦ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .

أجمعهم . وقال أبو عمرو بن العلاء مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره، وكان أبو الخطاب الأخفش يقدمه جداً ، لا يقدمُ عليه أحداً »[1] . « وقال بعض متقدمي العلماء : الأعشى أشعر الأربعة »[2] ، والأربعة ، هم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، أو زهير ، والنابغة ، والأعشى ، وعنترة[3] . « حكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة : كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب . وزاد قوم : وجرير إذا غضب » ، « وقيل لكثير ، أو لنصيب ، من أشعر العرب؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب، وزهير اذا رغب ، والنابغة إذا رهب،والأعشى إذا شرب »[4] .

وحجة من قدم (الأعشى) ، أنه كان « أكثرهم عروضاً وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحاً وهجاء ونظراً وصفة كل ذلك عنده »[5] .

ووجد (النابغة) من فضله على غيره من شعراء الجاهلية ، وفيهم الخليفة (أبو بكر) الذي كان يقول عنه « هو أحسنهم شعراً ، وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعراً »[6] و (عمر)[7] والشاعر (جرير)[8] ، وحجة من قدم النابغة على غيره أنه : « كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، ومدحاً ، وهجاء،وفخراً ، وصفة »[9] ، « وأجزلهم بيتاً . كان شعره كلام ليس فيه تكلف »[10] .

وزعم أن (الكميت) كان يقول : (عمرو بن كلثوم أشعر الناس) ،

---

١ العمدة (١/٩٥) .
٢ العمدة (١/٩٩) .
٣ العمدة (١/٩٥) .
٤ العمدة (١/٩٥) .
٥ ابن سلام ، طبقات (١/١٨) .
٦ العمدة (١/٩٥) .
٧ ابن سلام ، طبقات (١٧) .
٨ « وقال جرير : النابغة أشعر الناس » ، المزهر (٢/٤٨١) .
٩ العمدة (١/٩٩) .
١٠ ابن سلام ، طبقات (١٧) .

وأن الشاعر (ذو الرمة) فضل (لبيداً) على كل الشعراء[1] .

و « كان ابن أبي اسحاق ، وهو عالم ، ناقد ، ومتقدم مشهور ، يقول : « أشعر الجاهلية مُرَقش » ، وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل : من أشعر الناس ؟ فقال : العبد العَجْلاني ، يعني تميم بن أبيّ بن مقبل »[2] ، وهو من المخضرمين[3] ، « وقيل لنصيب مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : أخو تميم ، يعني علقمة بن عبدة ، وقيل أوس بن حجر ، وليس لأحد من الشعراء بعد امرىء القيس ، ما لزهير والنابغة ، والأعشى في النفوس »[4] .

وذكر (ابن سلام) أن (أبا عمرو بن العلاء) كان يرى أن (خداش ابن زهير) « أشعر في قريحة الشعر من لبيد ، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد . وكان يهجو قريشاً »[5] . ولعل هذا الهجاء هو الذي جعل الناس يأبون تقديمه في الشعر .

وروي عن (الأصمعي) ، أن (أبا عمرو بن العلاء) كان يقول : « كان أوس بن حجر فحل العرب ، فلما أنشأ النابغة طأطأ منه) ، وذكر عنه أيضاً ، وقد سُئل عن النابغة وزهير ، أنه قال : « ما كان زهير يصلح أن يكون أخيذاً للنابغة ، يعني راوياً عنه » . وروي أن أهل البصرة أجمعوا على امرىء القيس وطرفة بن العبد ، وأجمع أهل الكوفة على بشر بن أبي خازم والأعشى الهمداني، وأجمع أهل الحجاز على النابغة وزهير[6] .

وليونس النحوي رأي في أشعر الشعراء ، قيل إنه سئل « عن أشعر الناس فقال : لا أومىء الى رجل بعينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا غضب »[7] . فربط الشاعرية بحالة من الحالات النفسية . وورد التفضيل على هذا النحو : « أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب،

---

١ المزهر (٢/٤٨١) .
٢ العمدة (١/٩٧) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣٦٦) .
٤ العمدة (١/٩٧ وما بعدها) .
٥ ابن سلام ، طبقات (٣٢ وما بعدها) .
٦ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨٠) .
٧ ياقوت ، ارشاد (٧/٣١٠) .

وزهير إذا رغب ، والنابغه إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . وكان زهير أجمع الناس للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ ،وأحسنهم تصرفاً في المدح والحكمة»[1].

ترى مما تقدم أن موضوع من كان أشعر شعراء الجاهلية موضوع حساس ، لما كان للعصبية وللذوق الشخصي دخل فيه ، ثم إنهم لم يكونوا يحكمون من دراسة الكلّ ، أي بدراسة كل ما ينسب الى الشاعر من شعر ، وانما كانوا ربما حكموا على الشاعر ببيت أو ببيتين ، وحكم مثل هذا لا يمكن أن يتخذ حكماً علمياً ، أضف الى ذلك أنهم لم يميزوا بين ما نسب الى الشاعر من شعر ، وبين ما صح له من شعر ، ولا يكون الحكم في مثل هذه الأمور حكماً علمياً، إلا بدراسة عميقة لشعر كل شعر ، بعد تمييز صحيحه من فاسده ، ثم مطابقته ومقابلته بشعر الشعراء الآخرين . الى أمور أخرى من هذا القبيل ، يطرقها نقاد الشعر والأدب ، بمقاييس ثابتة ، أما مقاييس تلك الأيام فقد اختلفت، وخضعت للعواطف والأهواء ، و (السيوطي) على حق حين يقول في هذا الموضوع : « وهذا يدلك على اختلاف الأهواء وقلة الاتفاق »[2].

وقد يعمد علماء الشعر الى بيت من شعر ، فيجعلونه أحسن بيت قيل في الجاهلية ، أو عند العرب ، فقد قالوا : ان الاتفاق قد وقع على أن أمدح بيت للجاهلية ، هو قول زهير :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله[3]

ولكنهم قالوا ان الشاعر (دعبل) قال : إن أمدح بيتٍ قالته العرب في الجاهلية قول أبي الطمحان القيني :

وإن بني أوس بن لأم أرومة علت فوق صعبٍ لا ترام مراقبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه[4]

---

١ بلوغ الارب (٣/٩٨) .
٢ المزهر (٢/٤٨٢) .
٣ بلوغ الارب (٣/٩٩) .
٤ بلوغ الارب (٣/١٢٨) .

وروي عن الأصمعي قوله إن بيت (أبي ذؤيب) الهذلي :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ الى قليل تقنع

هو أبرع بيت قالته العرب[1] .

وقد كان (بشار بن برد) حذراً حين سئل : أخبرنا عن أجود بيت قالته العرب ؟ فقال : إن تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديدٌ ، ولكن قد أحسن كل الإحسان لبيد في قوله :

وأكذب النفسَ إذا حدّثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل
وإذا رمت رحيلاً فارتحل وأعصى من يأمر توصيم الكسل[2]

وقد ذهب علماء الشعر الى أن أشعر أهل المدر ، أهل يثرب ، ثم عبد القيس ثم ثقيف ؛ وأن أشعر ثقيف (أمية بن أبي الصلت) . أما أشعر أهل يثرب، فهو حسان بن ثابت في نظر كثير من رواة الشعر . وورد في بعض الأخبار أنه أشعر أهل المدر[3] .

نقد الشعر :

وذكر أن الشعراء الجاهليين ، كانوا يراجعون شعر بعضهم بعضاً ، وينقدونه لما كان بينهم من تسابق على نيل الشهرة والاسم ، أو لما كانوا يجدونه في شعر الشاعر من هنة أو غفلة أو هفوة ، كالذي ذكروه من أمر الشاعر (المتلمس) ، ذكر أن (طرفة بن العبد) ، سمع قوله :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

وكان إذ ذاك صبياً ، فقال : استنوق الجمل فصار مثلاً[4] .

---

١ بلوغ الارب (٣/١٤٠) .
٢ بلوغ الارب (٣/١٣١) .
٣ الاغاني (٣/١٨٠) ، (٣/٤) ، العمدة (١/٨٩) ، (باب تنقل الشعر في القبائل) .
٤ الشعر والشعراء (١/١١٥)، وتسب هذا البيت خطأ الى المسيب بن علس ، الموشح (٧٦) ، الاغاني (٢٣/٥٥٩) .

أو أنهم كانوا ينقدونه عند التحكيم . ليقتنع الشعراء بصحة حكم الحكم، كالذي كان من أمر (النابغـــة) في سوق عكاظ ، وكالذي روي من تنازع (امرؤ القيس) مع (علقمة) الفحل على الشعر ، وقول كل واحد منهما لصاحبـــه : « أنا أشعر منك » ، ومن قبولهـــما بتحكيم (أم جندب) ، زوج (امرىء القيس) بينهـــما . وقبول (أم جندب) الحكم بينهما . فذكر أنها قالت لهما : « قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحـدة ، فأنشداها ، ثم حكمت بترجيح شعر علقمة على شعر زوجها ، وأظهرت لها العوامل التي حملتهـا على هذا الترجيح ، فغضب امرؤ القيس عليها وطلقها ، فخلف عليها (علقمة)[1]. وهي قصة من هذا القصص الموضوع على (امرىء القيس) .

ويقتضي ذلك أن الشعراء كانوا يحفظون شعر غيرهم ، فقـــد كان منهم من إذا قابل شاعراً ، وجادله في شعره ، أنشده شعره ، وبين له ما يراه فيه مـن عيوب . وقد رأيت كيف زعموا أن (النابغة) لما جاء (يثرب) ، أراد أهلها أن يظهروا له ما في شعره من (إقواء) ، وهو من عيوب الشعر ، فأمروا قينة فغنت به ، وأبانت له موطن الإقواء ، فأحس به ، ويقـــال له إنه تركه من يومئذ .

أما استحسان العلماء لشعر شاعر ، أو تخبيثه أو تسخيفه ونقده ، فقـــد خضع عندهم لعوامل عديدة، قامت في بادىء أمرها على الذوق والمزاج ، فهذا يستحسن شعراً لورود بيت فيه استحسنه واستعذبه على حين يرى آخر أنه لا يساوي شيئاً ، وليس فيه ما يدعو الى المدح والثناء عليه ، ثم على العروض ، فنرى العسكري يعترض على اختيار الأصمعي لميمية المرقش ، وقد سبق لابن قتيبة أن اعترض على اختيار الأصمعي القصيدة أيضاً ، وقال الآمدي انه ليس بحاجـــة الى ذكر العيوب العروضية فيها لكثرتها[2]، ثم على النحو والبيان والبديع وغير ذلك من علوم الصناعة التي وضعت في الاسلام ، وقد كان عليهم ملاحظة أن هذه العلوم إنمـــا وضعت أو ثبتت في الإسلام ، وان الذوق الجاهلي يختلف عن الـــذوق الإسلامي ، وان

---

١ الشعر والشعراء (١٤٦/١ وما بعدها) ، (علقمة بن عبدة) ، الاغاني (٢٢٥/٢١ وما بعدها) ، الموازنة (٣٧/١) .

٢ الصناعتين (٤) ، غرونباوم (١١٢) .

(الخليل) لم يجمع كل بحور الشعر الجاهلي ، بل طرح بعض الأوزان الهزيلة التي كان القدماء قد استنبطوها[1] ، ولعله لم يتمكن من الوقوف على أوزان أخرى ، لأنها لم تكن مألوفة بين عرب العراق ، أو لأنها صيغت بلهجات قبائل لم يرتح من شعرها ، لأنه من الشعر القبلي الخاص .

وفضل العلماء الشعر الذي يكون فيه البيت تاماً مستغنياً بمعناه عن غيره ، وقالوا لذلك : البيت المقلد . لأنه قائم بذاته غني عن غيره ، يضرب به المثل[2] . ولهذا رأوا في القصيدة الجيدة ، أن تكون أبياتها مقلدة ، إذا قدمت بيتاً منها على بيت أو أبيات ، أو اذا أخرت بيتاً منهـا ، أو حذفت بيتاً منها أو أكثر ، فإنهـا لا تتأثر بهذا التغيير والتبديل . ولعل لهذا الرأي صلة بقولهم : « ومقلدات الشعر وقلائده البواقي على الدهر »[3] .

وقد أورد (الجاحظ) رأياً في القصيدة لخلف الأحمر ، فقال : « أمـا قول خلف الأحمر :

وبعض قريض القوم أولاد علة

فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكرهاً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلاّت . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عنـد إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً ، وسُبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان »[4] .

وقد رأينا أمثلة كثـيرة في استحسان شعر شاعر ، أو في المفاضلـة بين شعر الشعراء ، والموازنة بينهم ، وقد بنيت على أبيات ، أعجبت الناقـد المفاضل ،

---

١ غرونباوم (١٣٥) .
٢ ابن سلام ، طبقات (١٢٧ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، الجرجاني ، الوساطة (٣٣) .
٣ تاج العروس (٢/٤٧٥) ، (قلد) .
٤ البيان والتبيين (٦٦ وما بعدها) .

ففضل شاعره الذي جعله أشعر الشعراء على غيره ، ثم رأيناه نفسه ، لكـــن في موقف آخر يفضل غيره عليه ، بسبب بيت أو أبيات أعجبه أو أعجبته . وقـد تبدلت هذه النظرة في أيام العباسيين، فنجد لابن سلام مقاييس جـديدة في النقد، وفي وضع الشعراء وتصنيفهم الى طبقات . ونجد لابن قتيبة رأياً في النقد يستنـــد على آراء من تقدم عليه وعلى ملاحظاته الشخصية في النقد والموازنة بين الشعراء ، وقد يخالف غيره على رأيه. خذ ما قاله من نقد مرير في (الاصمعي) حيث يقول: « ومن هذا الضرب أيضاً قول المرقش :

هل بالديار أن تجيب صمَمْ لو أن حيـــاً ناطقاً كلّمْ
يأبى الشباب الأقـــورين ولا تغبط أخاك أن يقال حكم

والعجب عندي من الأصمعي ، إذ أدخله في متخيره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى ، ولا أعـــلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

النشر مِسكٌ والوجـــوه دنا نير وأطراف الأكف عنم »[1]

ويذكر أهل الأخبار أن من الشعراء من كان يستحسن بيت شاعـر ، فيسطو عليه . ونجد (ابن قتيبة) يذكر في كتابه (الشعر والشعراء) ما أخذه الشعراء بعضهم من بعض ، فذكر مثلاً أن (طرفة) ، و (النابغة) الجعدي، والشمّاخ ، و (أوس بن حجر) ، و (النجـــاشي) ، وزهير ، والمسيب ، وزيد الخيل أخذوا من شعر (امرىء القيس) ، فنظموه في شعرهم[2] . وإذا صـــح ذلك ، كان معناه أن أولئك الشعراء كانوا قـــد حفظوا شعر (امرىء القيس) ، وأنهم كانوا يحفظون أشعار غيرهم من الشعراء المتقدمين عليهم أو المعاصرين لهم، وبذلك سطوا على ذلك الشعر أو على معناه .

غير أننا لو درسنا الأمثلة التي ذكرها (ابن قتيبة) وغيره على أنها من سرقات الشعر ، نرى أن أكثرها لا يمكن أن يعد سرقة ، لأن للسرقة الشعرية علامات

---

١ الشعر والشعراء (١/١٨ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (١/٦٨ وما بعدها) .

ولا نكاد نلمس من هذه العلامات شيئاً في الشعر المتهم بأنه شعر مسروق . وإنما نجده من قبيل توارد الخاطر لا غير ، أسرع نقاد الشعر ، فجعلوه سطواً وسرقة .

ونحن لا نعلم من أمر نقد الشعر عند الجاهليين إلا ما جاء في الموارد الاسلامية وهو شيء قليل ، وهو شيء لا ندري أيضاً مكانه من الصحة ، وكل ما لدينا من تقسيم للشعراء الى طبقات ومن تفضيل شاعر على شاعر ، ومن تفضيل شعر على شعر هو مما عمل في الاسلام،صنع وفق قواعد نقد دوّنها العلماء . وقد ظهرت بواكير النقد العلمي للشعر الجاهلي عند علماء اللغة والنحو والعروض ، ثم تولاها علماء راعوا أصول البيان والبلاغة والبديع في نقد الشعر ، ولما كان هذا النقد لا يخص موضوعنا بالذات ، وقد كتب عنه المتخصصون ، فأنا أترك أمره اليهم، وقد وضعت فيه مؤلفات حديثة ، وضعها عرب ومستشرقون .

أشعر الناس حياً :

ويروي أهل الأخبار أن أشعر الناس حيّاً هذيل . وقيل : « أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث . وهي : الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ؛ فأولها هذيل ، وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة في السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد ، أزد شنوءة ، وهم : بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد . وقيل : أفصح الناس : عليا تميم وسفلى قيس ، وقيل:سافلة العالية وعالية السافلة ، يعني : عجز هوازن. وأهل العالية : أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها ، ولغتهم ليست بتلك عند (أبي زيد)[1] .

ويلاحظ أن هنالك قبائل كثيرة لم يروِ علماء الشعر لها شعراً ، أو أنهم رووا شعراً قليلاً لها ، بينها قبائل كبيرة معروفة ، كان لها تقدم ونفوذ ، مثل : (الغساسنة) و (تنوخ) و (لخم) و (بهراء) ، و (كلب) ، ولا يعقل أن يكون الله قد حرم هذه القبائل من قول الشعر ، فلم ينبت في أرضها شاعر ، ولم يقم بينها من جارى القبائل الأخرى في قول الشعر ، وهم عرب مثل غيرهم،

---

١ العمدة (١/٨٨ وما بعدها) .

لهم حس وشعور ، فلا يعقل عدم ظهور شعراء بينهم ، ويظهر أن سبب اهمال رواة الشعر لشعر هذه القبائل هو اعتبارهم هذه القبائل دون القبائل الأخرى في اللغة والفصاحة ، لأنهم كانوا على اتصال بالحضر ، فلم يسائلوهم ، ولم يقيموا لشعرهم وزناً ، ولهذا لم يصل منه الينا شيء ، أو إلا القليل منه ، فظهرت تلك القبائل في جملة القبائل المقلة في الشعر .

وقد روي لبعض الشعراء شعر كثير ، فيه قصائد طويلة ، وصل لنا في دواوين ، أو في كتب الشعر والأدب ، فوقفنا بذلك على شعرهم . وهناك شعراء اشتهر أمرهم وعرف ذكرهم ، إلا أن معظم شعرهم قد ذهب معهم ، فلم يبق منه إلا القليل ، بحيث لا يتناسب هذا الباقي منه مع الشهرة التي أحاطت بهم . وقد عرف هؤلاء بالشعراء المقلين[1] .

ومن المقلين في الشعر : طرفة بن العبد،وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة الفحل، وعدي بن زيد ، وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء . وهي المعلقة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

وله سواها يسير.ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل ، وحصين بن الحُمام المري ، والمتلمس ، والمسيب بن علس، ومنهم عنترة ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، وعمرو بن معدي كرب ، والأسعر بن أبي حمران الجعفي ، وسويد بن أبي كاهل ، والأسود بن يعفر[2] .

الشعر والاسلام:

ورد في الحديث : لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً يَريه ، خير من أن يمتلىء شعراً » ، وورد أن رسول الله بينا كان بالعرج ، إذ عرض شاعر ينشد. فقال رسول الله : خذوا الشيطان ، أو امسكوا الشيطان لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً، خير له من أن يمتلىء شعراً »[3] . وفي القرآن : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له

---

١ المزهر (٢/٤٨٥) ، (المقلون من الشعراء) .
٢ العمدة (١/١٠٢ وما بعدها) .
٣ صحيح مسلم (٧/٥٠) ، (كتاب الشعر) ، زاد المسلم (١/٣٥٠ وما بعدها) ، كتاب خلق الانسان (٢٧٥ وما بعدها) ، (لابن أبي ثابت) .

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين »[1] ، و « بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون »[2] ، و « يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون »[3] ، و « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون »[4] ، و « ما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون »[5] ، و « الشعراء يتبعهم الغاوون . ألم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا اللهَ كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[6] .

وورد عن (عائشة) قولها ، وقد قيل لها : « هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث اليه . غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل آخره أوله ، وأوله آخره . فقال له أبو بكر : إنه ليس هكذا ! فقال نبي الله : إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي »[7] . وورد في تفسير : « بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر » . « بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها في النوم . وقال بعضهم : هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه ، وقال بعضهم : بل محمد شاعر . وهذا الذي جاءكم به شعر »[8] . وورد في معنى : « ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » ، أن قريشاً قالوا : « أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون ... يعنون بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم »[9] . وقالوا في معنى « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » ، « قال ذلك قائلون من الناس : تربصوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان » ، و « قال قائل منهم احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى

---

١ سورة يس ، الرقم ٣٦ ، الآية ٦٩ .
٢ الانبياء ، الرقم ٢١ ، الآية ٥ .
٣ الصافات ، الرقم ٣٧ ، الآية (٣٦) .
٤ الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٣٠ .
٥ الحاقة ، الرقم ٦٩ ، الآية ٤١ .
٦ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .
٧ تفسير الطبري (١٩/٢٣) ، (بولاق) ، صحيح مسلم (٤٨/٧ وما بعدها) .
٨ تفسير الطبري (٣/١٧) .
٩ تفسير الطبري (٣٣/٢٣) .

يهلك كما هلك من قبله الشعراء زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم »[1] . وفسر قوله تعالى : « ومـــا هو بقول شاعر » ، بـ « ما هذا القرآن بقول شاعر ، لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر فتقولوا هو شعر »[2] ، وقولـــه : « والشعراء يتبعهم الغاوون » ، « الغاوون الرواة » ، وذكر أنهم في كل لغـــو يخوضون ، وان الله استثنى منهم شعراء المؤمنين[3] .

وقد كره ناس الشعر لما ورد عنه في القرآن الكريم وفي الحديث ، وامتنع بعض الشعراء من قوله كالذي ذكروه من ترك لبيد الشعر بعد دخوله في الإسلام، ومن قوله للخليفة (عمر) أو لعامله على الكوفة ، وقد سأله عما قالـــه من الشعر في الإسلام : « ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران»[4]. وأهمل بعض الصحابة رواية الشعر ، لما فيها من تذكير بأمر الجاهليـة وبأيامها ، وأقبل آخرون عـــلى القرآن يحفظونه بدلاً من الشعر الجاهلي ، ورأى آخرون أن في حفظه وفي انشاده إثارة لنعرة الجاهليـــة بعد أن حرمها الله ، كراهية وقوع الفتنة ، وحدوث القتال كالذي كان يقع في الجاهلية ، لا سيما ما يتعلق منه بالمدح وبالهجاء وبالأيام ، ولهـــذا قال (عمر) لحسان بن ثابت يوم مرّ به وهو ينشد الشعر بمسجد رسول الله : أرغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت »[5].

فهذا الشعر المفرق المسبب للفتن أو الثالب للأعراض ، هو الشعر الـذي كره الناس روايته أو نظمه ، ولهذا كان (عمر) يحاسب الهجائين،فلما هجا (الحطيئة) (الزبرقان بن بدر) ، وشكاه (الزبرقان) عليه ، حكّم (عمر) (حسان بن ثابت) فيه ، فحكم عليه أنه « لم يهجه ، ولكن سلح عليه » ، فهو أشد إيلاماً من الهجاء ، فحبسه (عمر) ، وقال: « يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين»[6]،

---

١ تفسير الطبري (٢٩/٢٧) .
٢ تفسير الطبري (٤٢/٢٩) .
٣ تفسير الطبري (٧٩/١٩ وما بعدها) ، الصاحبي (٢٧٣ وما بعدها) .
٤ الشعر والشعراء (١٩٥/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٥ العمدة (٢٨/١) .
٦ الشعر والشعراء (٢٤٤/١) ، (الخطيئة) ، (قال : ذرق عليـــه) ، ابن سلام طبقات (٢٥) .

ولما هجا (النجاشي) (بني العجلان) ، فشكوه الى (عمر) ، حكم (عمر) (حسّان بن ثابت) ، و (الحطيئة) في أمر هذا الهجاء ، فلما حكما بأنه هجاهم ، قال له (عمر) : « إن عدت قطعت لسانك »[1] . وروي أن رجلاً مرّ بباب رجل ، وقد كان فتمثل :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

فاستعدى رب البيت عليه (عمر) ، فأمر به (عمر) فحد[2] .

وذكر أن النبي قال : « من قال في الاسلام هجاء مقذعاً فلسانه هدر »[3] . وأنه لما بلغه هجاء الأعشى (علقمة بن علاثة العامري)، نهى أصحابه أن يرووا هجاءه[4] . وروي أن المنع عن رواية الشعر ، كان خاصاً بالشعر الذي هجي به النبي[5] .

ولما هجا (ضابىء بن الحارث) وكان رجلاً بذياً كثير الشر ، وكان بالمدينة صاحب صيد وصاحب خيل ، قوماً من (بني نهشل) استعدوا عليه (عثمان) فحبسه[6] . فكان حبسه لهجائه لا لشعره .

ومع ذلك ، فقد تهاجى الشعراء في أيام الأمويين وتنازعوا فيما بينهم، وتطاول بعضهم على بعض ، وجرأت السياسة هذا الهجاء وأمدته بوقود يزيد في حدتـه حدة ، لعصبيات وسياسة ، وتجرأ البعض في هجاء الحكومة وفي هجاء المعارضين، وحرض (يزيد بن معاويـة) الشاعر (الأخطل) على هجاء الأنصار ، وفي محيط مثل هـذا المحيط ، انقسم الى أحزاب وفرق ، متخاصمة شديدة عنيفة في الخصومة ، لا بد وأن يجد الشعر فيه أرضاً طيبة ، ومنبتاً خصباً مساعداً . فكانت للشعراء حرية في النيل بعضهم من بعض ، واستفاد خلفاء بني أمية من ذلك ، بتحريض شعرائهم على عض خصومهم ، مما لا مجال للبحث عنه في هذا المكان .

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٤٨) ، (النجاشي) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .
٣ العمدة (١/١٧٠) .
٤ الفائق (١/٦٦٤) .
٥ الفائق (٢/٣٨٩) .
٦ ابن سلام ، طبقات (٤٠) .

وكان (عمر) قد نهى الشعراء عن ذكر النساء في أشعارهم ، لما في ذلك من الفضيحة ، وكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجر وبالنخلة ، لئلا تشهر المرأة ، وخوفاً من أهلها وقرابتها[1] .

أما الشعر الآخر ، الذي لم يكن ينال الناس ، ولا يتذكر الأصنام والأوثان وأمور الجاهلية التي حرمها الإسلام ، فلم يتعرض له الإسلام بسوء ، بل كان الرسول نفسه يسمع الشعر ، ويطلب من الصحابة انشاده له ، وقد ورد أن الرسول سمع (عمرو بن كلثوم) ، وهو بعكاظ ينشد معلقته الشهيرة[2] ، وسمع شعر (أمية بن أبي الصلت) كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر ، واستمع الى شعر (قيس بن الخطيم) ، والى شعر شعراء آخرين ، وكان يستملحه ويستعذبه ، ولا سيما شعر الحكمة والإرشاد . « جاء النابغة الجعدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من الشعر ما عفا الله عنه ؟ قال : نعم . قال : أنشدني منه ، فأنشده :

وإنا لقوم ما نعوّد خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا »

فلما أنشده قوله :

ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا
ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

قال رسول الله : « لا فض الله فاك »[3] .

ومن سيماء اهتمام الاسلام بأمر الشعر ، أن الشعر الجاهلي انما دون وثبت في أيامه . وأن الصحابة كانوا يحفظونه ويروونه ، وأن دواوينه ، إنما ظهرت في أيام الأمويين . فلم يحرم الاسلام الشعر ، ولم يظهر كرهه له ، وإنما كره الشعر الوثني الذي مجد الوثنية ، فطرح ولم يرو ، ولعل هذا هو السبب الذي جعلنا لا نقرأ في كتب الأدب والأخبار شعراً فيه إشادة بصنم ، أو بأمر من أمور

---

١ الخزانة (٢/١٩٣ وما بعدها) .
٢ الاغاني (٩/١٧١ وما بعدها) ، (ساسي) ، (١١/٥٤) .
٣ رسائل الجاحظ (١/٣٦٣ وما بعدها) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) .

الجاهلية المناهضة للإسلام . وقد روي عن النبي قوله : « إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة ، أو قال : حكماً »[1] ، وأنه أمر حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحه ، وكعب بن مالك بهجاء قريش . وأنه قال لحسان : اهجوا قريشاً ، فإنه أشد عليها من رشق النبل[2] .

وقد اعتذر العلماء عن سبب نفي الشعر عن الرسول ، بأن الشاعر ، لا يكاد يكون إلا مادحاً ضارعاً ، أو هاجياً ذا قذع ، وهذه أوصاف لا تصلح للنبي ، ثم إن فيه إيقاعاً، والايقاع ضرب من الملاهي ، ومن هنا لم يصلح الشعر للرسول[3] . وقد بحث (القرطبي) في موضوع نفي الشعر عن الرسول ، فرجع ذلك الى أربع مسائل : الأولى أنه كان لا يقول الشعر ولا يزنه ، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلاً كسر وزنه ، وإنما كان يحرز المعاني فقط ، وذلك رداً لقول من قال من الكفار انه شاعر ، وإن القرآن شعر . وقد كان ربما أنشد البيت المستقيم في النادر[4] .

الثانية : اصابته الوزن أحياناً لا يوجب انه يعلم الشعر، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن ، كقوله يوم حنين وغيره :

هل أنتِ إلا إصبعٌ دميت وفي سبيل الله ما لقيتِ

وقوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن ، وفي كل كلام ، وليس ذلك شعر ولا في معناه ، كقوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ،وقوله: « نصر من الله وفتح قريب » ، وقوله : « وجفان كالجواب وقدور راسات» الى غير ذلك من الآيات[5] .

---

١ الصاحبي (٢٧٤) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٨٥٢) .
٣ المزهر (٢/٤٦٩ وما بعدها) .
٤ تفسير القرطبي (١٥/٥١ وما بعدها) .
٥ تفسير القرطبي (١٥/٥٢ وما بعدها) .

الثالثة : إن ما روي من عدم قوله الشعر ، لا يعني عيب الشعر ، وإنما لنفي الظنة عنه من أنه كان يقول الشعر .

الرابعة : ان قوله تعالى : « وما ينبغي له » ، يعني نفي الشعر عنه ، لئلا يظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر[1]

فالرسول لم يكره الشعر لكونه شعراً ، ولم يعبه أو نهى عن قوله ، وإنما كان النهي خاصاً به . قال « الخليل بن أحمد : كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثير من الكلام ، ولكن لا يتأتى له »[2] .

---

١ المصدر نفسه (١٥/٥٤ وما بعدها) .
٢ كذلك (١٥/٥٢) .

obeikandl.com